الحروب و انحسار الديمقراطية

Title in English : Wars and the decline of democracy

Dalila Benaouda[1], Salima Gaid[2]

دليلة بن عودة، [1] قايد سليمة [2]

[1] طالبة دكتوراه، مخبر : مجتمع – تربية – عمل SET، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ،

dalila.benaouda@ummto.dz

[2] أستاذة التعليم العالي المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة ، **salima.gaid@gmil.com**

تاريخ الاستلام: 2022/11/15 تاريخ القبول: 2024/05/20 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص:

الحرب ظاهرة تاريخية متكررة ثابتة من حيث الجوهر ومتغيرة من حيث الأعراض وهي ظاهرة التناو ب بين حالتي السلام والحرب، فهي كانت ولا تزال واحدة من الادوات الرئيسة لممارسة العلاقات الدولية وقد استخدمتها الدول لتحقيق مصالحها الوطنية فهي امتداد للسياسة مع الاختلاف في الاساليب كما أنها استمرار عنيف للسياسة . فالحرب ماهي إلا سياسة عنيفة والسياسة ليست سوى حربا لينة او صراعا سلميا وهذه الحروب ذات المصدر السياسي قائمة على الاختلاف في الخيارات السياسية اتجاه المشاكل الاقليمية والدولية وكذلك الاختلاف في المصالح والتعبير عنها . هذا ما يقودنا إلى الحديث عن الصراع وعلاقته بالديمقراطية مادامت الحروب الكبرى التي وقعت في القرون الثلاثة الأخيرة جميعها كانت مصحوبة بخطاب يبررها ذلك ان القوى الديمقراطية قد بررت العديد من الحروب باسم الديمقراطية ومن يريد فرض الديمقراطية بالقوة على الغير فمعنى ذلك أنها استعمار مقنع.

الكلمات المفتاحية:

الحرب ، الديمقراطية ، القوة ، الدول ، السياسة ، الحرب اللينة ، الاستعمار المقنع

Abstract:

The world is facing radical changes at the level of political regimes whereby democracy seems to shrink infront of liberalism , populisme and other political regims .Historians , economists and politicians alike argue whether the essence of democracy is constent or has changed whith the change in economic interests.

Warfare is considered as a recurrent historical phenomenon , it is characterized as being permanent and unchangeable in terms of repercussions. Warfare is a state of frequent

war and peace , it was and is still considered as a major and principal tool in international affairs and global relations. Therefore, nations have used this tool to arrive at achieving their national interests. So , warfare is a mere extension of politics and political agendas with a variety in the tools used to accomplish certain aims whether peacefully or with a deliberate use of military force. Politics is therefore a soft power and or a peaceful dispute or conflict. The wars which are deeply traced in politics are based on a variety of political choices towards territorial and international issues as on a variety in interests and expressing them. This latter leads us to discuss the relation between conflicts and democracy as long as the world wars which took place in the last centuries were all justified by certain discourse. Democratic forces , capitalism and liberalism had all justified many wars in the name of democracy and so all attempts to impose democracy is a mere colonial system in disguise. To cut a long story , all countries no matter how devloped they are tend to see democracy as the most coveted system of ruling , however this latter has altered in its essence due to the rapid change in the economic world order , therefore democracy becomes a guilded concept to hide imperial and colonial interests .
Key words: Warfare, democracy , power , nations , politics , soft power , colonial system in disguise.

Résumé :

La guerre est un phénomène historique récurrent, figé dans son essence et changeant en termes de symptômes, et c'est le phénomène d'alternance entre les deux états de paix et de guerre. Elle était et est toujours l'un des principaux outils de pratique des relations internationales et les pays ont l'ont utilisé pour réaliser leurs intérêts nationaux. C'est une continuation violente de la politique. La guerre n'est rien d'autre qu'une politique violente et la politique n'est rien d'autre qu'une guerre douce ou une lutte pacifique, et ces guerres à source politique reposent sur des différences de choix politiques face aux problèmes régionaux et internationaux, ainsi que sur des différences d'intérêts et leur expression.C'est ce qui nous amène à parler du conflit et de son rapport à la démocratie, tant que les grandes guerres qui ont eu lieu au cours des trois derniers siècles ont toutes été accompagnées d'un discours qui les justifie, car les forces démocratiques ont justifié de nombreuses guerres dans le nom de

démocratie, et quiconque veut imposer la démocratie par la force aux autres veut dire que c'est un colonialisme déguisé.

les mots clés :

Guerre, démocratie, pouvoir, États, politique, guerre douce, colonialisme déguisé.

مقدمة:

كانت الحرب دائما جزءا من واقع الناس بل لربما هي صانعة هذا الواقع وسمته المميزة فهي سمة دائمة من سمات التاريخ البشري ، والحرب كانت ولا تزال واحدة من الادوات الرئيسة لممارسة العلاقات الدولية فقد استخدمتها الدول لتحقيق اهدافها وطموحاتها ومصالحها الوطنية ، لكن في الفترة الحديثة اتخذت الحرب بين الدول شكلا جديدا مختلفا عما كانت عليه قديما فهي تمثل في الوقت الراهن تحديا حقيقيا ومعضلة كبيرة تثير فينا مشكلا فلسفيا له علاقة بالحياة والموت وتهتم به الاستراتيجيا والإيتيقا والتحليل النفسي وعلم المستقبليات وعلم الاقتصاد وعلم الحرب . ففي الآونة الاخيرة شغل مشكل الحرب الخطاب السياسي العربي بسبب الاعتداءات المتكررة والإستهدافات التي يتعرض لها الوطن العربي وخاصة العمق الاستراتيجي ربما بشكل متعمد ومبيت وسبب الانشغال ان هذه الحالة الاجتماعية ظاهرة عامة ملتصقة بالنشاط البشري وسمة بارزة دائمة الحضور في الحياة السياسية للدول والشعوب هكذا عشنا الحرب في وجداننا في كل لحظة من تاريخنا منذ الغزوات الاو لى مرورا بالحروب الصليبية الدينية وصولا إلى حروب التحرير والاستقلال ، فالحروب جميعا كانت مصحوبة بخطاب يبررها اما باسم الحضارة او تحت شعار نشر قيم الديمقراطية وهذه الاخيرة تعتبر أسلوب سلمي اي انها وسيلة من وسائل تحقيق السلام لكن الواقع غالبا ما يبرز عكس ذلك بحيث تشكل الديمقراطية ذريعة من ذرائع شن الحرب ، فأغلب الحروب الكبرى التي وقعت في القرون الثلاثة الأخيرة قد شنتها القوى الديمقراطية وذلك باسم مجموعة من المبادئ من ضمنها نشر الديمقراطية بما تحمله من اجراءات ومبادئ وقيم تعكس المبادئ والقيم الإنسانية لكن هل حقا يمكن للحرب ان تحقق ذلك وأمام كل هذه المعطيات وجب إقامة مساءلة لفهم الأسباب الحقيقية وراء تفشي ظاهرة الحرب وعلاقتها بالديمقراطية من أجل إظهار التناقض الموجود بينها ، لكن وجب التذكير ان الدراسة ليست معنية بتحليل جميع أشكال الحروب وانما ستعالج موضوع الديمقراطية بوصفها خطابا تبريريا للصراع.

- هذا ما يحيلنا إلى طرح الإشكال الذي يتمحور حوله المقال: هل الديمقراطية قابلة للتصدير؟ وفيما تتمثل الذرائع الديمقراطية للحرب ؟

- ومن هذا الإشكال المحوري تتفرع أسئلة من قبيل: كيف يمكن شن الحروب من منظور الالتزام بالديمقراطية الليبرالية ؟ وهل الديمقراطية نظام يمكن فرضه بالقوة ؟ وهل حقا تعتبر الديمقراطية نموذجا يمكن تعميمه في كل الدول ؟

1/ السياق التاريخي لمفهو م الديمقراطية

الديمقراطية كلمة اغريقية قديمة دخلت اللغة الإنجليزية في القرن 16(فيليب غرين ، تر محمد درويش ، الديمقراطية، 2008. ص 34) وحسب مدلولها اللغوي القديم تعني " حكم الشعب " لانها مكونة من كلمتين الاو لى" Demos "وتعني الشعب والثانية "Kratia " وتعني الحكم (كاملز هيري ، الموسوعة الاشتراكية ، ط1 ، القاهرة 2000 ، ص 20) وينظر إليها على انها من الأمثلة التي تنطبق عليها المفاهيم المعاصرة للحكم الديمقراطي ، ووجدت هذه الكلمة في الكتابات اليونانية القديمة وتعرف على انها نموذج جديد في ممارسة السلطة تختلف عن الأنظمة السابقة كنظام الملك والإمبراطور والاله وفيه يجتمع المواطنون ويشتركون في اتخاذ القرارات اللازمة ، وكذلك تنطبق على الجماعات الصغيرة (جونز ، الديمقراطية الأثينية، تر عبد المحسن الخشاب ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة) ووجدت في أثينا القديمة في القرن الخامس قبل الميلاد واعتبرت على أساسها مدينة ديمقراطية حيث صرح الحاكم بركليس بقوله نحن دولة ديمقراطية، وهذا المجتمع الديمقراطي دخل في حرب مع اسبرطة التي كانت تهتم بالتربية البدنية أما أثينا فكانت تهتم بالتربية العقلية أثينا انهزمت ولما انهزمت هاجم أفلاطون النظام الديمقراطي وقال بان سبب الهزيمة الديمقراطية وقال لأنها عبارة عن بربرية وجهل لابد من إلغاءها كما أيده في هذا الطرح تلميذه أرسطو وبسبب هذا النقد توارى لفظ الديمقراطية حوالي ألفي سنة ثم بدأ تداو له بشكل خفيف ابتداء من القرن السادس عشر مما أدى إلى ظهور العلمانية ومع مجيء القرن السابع عشر بدأت نظرية العقد الاجتماعي في التطور ومعناها ان يجتمع الأفراد في وسط بيئة يتفقوا فيما بينهم على عمل عقد اجتماعي وبه يتنازلون على بعض الحقوق لصالح الحاكم في مقابل هذا الحاكم يوفر لهم الأمن والأمان وهذا الذي سمي بالعقد الاجتماعي مع روسو وجون لوك الذي يعتبر اهم منظر لهذه النظرية ومن نتائج هذا التحول تقييد السلطة الدينية وإبعادها عن تسيير الشؤون الاجتماعية ، أما في القرن الثامن عشر تحرر الإنسان من جل السلطات ليس فقط السلطة الدينية بل حتى السلطة السياسية والاقتصادية اي تحرير العقل من كل سلطة ماعدا سلطة العقل وهذا هو التنوير ومع مجيء القرن التاسع عشر أصبحت سلطة الفرد فوق سلطة المجتمع وهذه هي الليبرالية وبهذا نستنتج ان الديمقراطية تتكون من أربع أقانيم: العلمانية ، العقد الاجتماعي ، التنوير والليبرالية والتي بدورها اخذت أربع قرون لتبلورها، اما في القرن العشرين ظهرت الثورة العلمية والتكنولوجية والتي تعتبر ثمرة الديمقراطية او ل سلم لها العلمانية واخر سلم الليبرالية فالبحث في

الديمقراطية هو بالضرورة بحث في طبيعة الدولة لان جوهر الديمقراطية هو انقسام المجتمع السياسي إلى حاكم ومحكوم وإلى سلطة تسيطر على معطيات سلطة اتخاذ القرار وفئة اخرى يقع عليها واجب الالتزام بالقرارات، فهذا التقسيم الثنائي للمجتمع السياسي بين الحاكم والمحكوم أثيرت حوله خلافات في تاريخ الفكر الإنساني

فالديمقراطية كمفهوم تاريخي اتخذ من تطور المجتمعات وتعدد الثقافات صورته وتطبيقاته المتباينة فلا يوجد نموذج واحد للديمقراطية بل نماذج ووجود هذا التباين في تطبيقات الديمقراطية متعلق بتعدد الثقافات وترتب عن ذلك وجود العديد من الممارسات والتطبيقات المتباينة للديمقراطية فعلى الرغم من هذا التباين في الممارسات إلا ان أساس المفهوم وجوهره هو إسناد شرعية الحاكم إلى الشعب الذي يحكم من أجل هذا الشعب مهما كان الاختلاف بين الديمقراطيات لكن الجوهر والأساس هو إسناد الحكم إلى الشعب وتعتبر المساواة المثل الأعلى في العملية الديمقراطية وان كانت ممارسة الديمقراطية في مهد نبوغها في أثينا افتقرت إلى المساواة فالذكور الأحرار البالغين فقط من يحق لهم التصويت ، ويستثنى من ذلك النساء والعبيد فهم لم ينخرطوا ولم يمارسوا حقوقهم السياسية . وقد كانت الديمقراطية منذ الماضي امل ينشده المفكرون السياسيون الذين تصدوا بأفكارهم ونظرياتهم للتسديد للحكم المطلق ومناهضة استبداد الحكام كما انها كانت هدفا من أسمى الأهداف التي ناضلت من اجل تحقيقها الشعوب المختلفة عبر التاريخ ومازالت تمثل في الوقت الحاضر مطلبا تتمسك به وتحرص عليه.

1/مفهوم الديمقراطية

اختلف المفكرون والكتاب في تعريفهم للديمقراطية مما أدى إلى ظهور الكثير من التعريفات المختلفة ومن أبرز التعريفات نجد

. الديمقراطية حكم الشعب بواسطة الشعب ومن أجل الشعب .

* حكم الشعب : ومعناه الحكومة ملك للشعب ويختص به . بواسطة الشعب : إشراك المواطنين في صنع السياسة وممارسة الرقابة على ممثليهم ونوابهم.

*من أجل الشعب : تعني الحكومة في خدمة الشعب وان أفراد الشعب ليسوا مجرد رعايا لهذه الحكومة

* الديمقراطية شكل من أشكال الحكم تكون فيه السلطة الحاكمة في الدولة ممثل قانوني في أعضاء الجماعة ككل وليس لطبقة معينة (صامويل هنغتنغتون،1995،ص115)

* الديمقراطية شكل من أشكال الحكم بمارس فيه الشعب كله او القسم الأكبر منه سلطة الحكم من خلال نواب ينتخبونهم بأنفسهم بصفة دورية. (كاملز هنري،2011، ص20)

* الديمقراطية حكم منظم يستند إلى كل من نبدأ السيادة الشعبية والمساواة السياسية وقاعدة الأغلبية والفصل بين السلطات. نستنتج إذن ان معنى كلمة ديمقراطية ان الشعب هو مصدر السلطات وتكون الحكومة معبرة عن الأغلبية الشعبية ومستمدة إليها وليس إلى فرد واحد او عدد محدود من الأفراد . (فيليب غرين، 2007، ص25)

2/ أشكال الديمقراطية

الشكل الأول :

الديمقراطية المباشرة: يباشر الشعب في هذه الصورة السلطة بنفسه دون وسيط حيث يجتمع المواطنون في هيئة جمعية عمومية للتصويت على مشروع القوانين وتعيين القضاة والموظفين وتصريف الشؤون العامة الخارجية منها والداخلية ويعتبر هذا النوع من الديمقراطية النموذج المثالي للحكم الديمقراطي الصحيح على أساس انها تحقق مباشرة

للشعب سيادته وممارسته للسلطة بنفسه وبطريقة مباشرة بلا نيابة، وتعتبر الانتخابات الرئاسية المباشرة من قبل الشعب من الديمقراطية المباشرة هذا النموذج

وجد في أثينا لكن في عالمنا المعاصر قليل جدا

الشكل الثاني :

الديمقراطية النيابية تقوم الديمقراطية النيابية على اساس انتخاب الشعب لعدد من النواب الذين يكونون البرلمان ويتولون ممارسة السلطة باسم الشعب ونيابة عنه لمدة محدودة وتقوم الديمقراطية النيابية على أساس ان الناس يفوضون جزء من سلطتهم في صنع القرار إلى النواب الشرعيين او غيرهم كما يشاؤون ، وتكون السيادة للشعب وليس للنواب طالما ان لهؤلاء الناس السلطة في تحديد واختيار المختصين لصنع القرار ويعتبر الانتخاب من أهم الأسس التي يقوم عليها هذا النظام بحيث لا يمكن إضفاء صفة النيابة على المجلس اذا كان معينا الا في حالة ما كان عدد الأعضاء المعينين في أضيق نطاقها

الشكل الثالث:

الديمقراطية شبه المباشرة وهو نظام يمزج بين الديمقراطية المباشرة والديمقراطية النيابية فهي تمثل أسلوب وسط حيث تبقي على الهيئة النيابية المنتخبة كما تسمح في نفس الوقت إلى الرجوع للشعب في حالات معينة ويسمح للشعب بأن يلعب دورا ايجابيا ويتم ذلك

عن طريق أربع وسائل:

1- الاعتراض الشعبي:

ويقصد به اعطاء الحق لعدد من الناخبين

في الاعتراض على القوانين الصادرة عن البرلمان خلال مدة زمنية محددة ، فإذا تم هذا الاعتراض خلال هذه المدة فينتج اثره في وجوب عرض هذا القانون على الشعب للاستفتاء عليه لمعرفة مدى موافقة الشعب عليه من عدمها

2- الاستفتاء الشعبي:

ومعناه أخذ رأي الشعب في موضوع من الموضوعات وقد يكون الاستفتاء دستوريا او تشريعيا

3- الاقتراع الشعبي:

يقصد به قيام عدد محدد من الناخبين باقتراح مشروع او فكرة معينة على البرلمان فإذا كان الاقتراح متضمنا لمشروع قانون معين فإن البرلمان يلزم مناقشتها او إصداره او عرضه على الشعب في استفتاء تشريعي لأخذ رأيه فيه حسب ما ينص عليه الدستور.

4- العزل الشعبي:

أعطيت بعض الدساتير حق عزل رئيس الجمهورية أو عضو البرلمان بواسطة الشعب اذا وافق على ذلك عدد من الناخبين على أساس فقده لثقة الشعب فيه.

التطلع إلى الديمقراطية في الوقت الحالي أضحى مطلبا مشروعا للكثير من دول العالم خاصة الدول العربية فإمكانية إرساء الديمقراطية في الوقت الحالي أصبحت مهددة بحالة من النزاع التي تبدوا شبه دائمة لذلك ظلت مشروعا غير مكتمل في الآونة الأخيرة بسبب الحروب فالديمقراطية دفنت عميقا تحت قوة السلاح والأنظمة الغير الشرعية أنظمة حالتنا النزاعية الصراعية الدائمة فبمقدار ما تنحدر سلطة السيادة عند الدول القومية بما فيها اكثر الدول القومية سيادة تتشكل مكانها ضرب من السيادة فوق _ قومي جديد اي إمبراطورية عالمية تكون الحرب والصراع السياسي امرا محتوما لا مفر منه فقد أصبحت الحرب ظاهرة عالمية لا متناهية.

2/ كرونولوجيا مفهوم الحرب

أما عن السؤال ما الحرب ؟ فهو بهذه الصيغة يبدوا بسيطا تركيبيا لكن بساطة التركيب لا تعني شيئا آخر اكثر من بساطة التركيب لان محاولة الجواب تطرحنا أمام تشعبات لا حصر لها فهل نعرف الحرب في ذاتها بمعزل عن السياق والوضعيات والارتباطات فيما يشبه محاولة بناء نموذج مثالي للحرب أم نعرفها انطلاقا من وضعيات ولوان في هذا ضرب من المخاطرة لان الحرب نشبت في وضعيات مختلفة وتمظهرت في ايضا في أشكال مختلفة بهذا لابد من البحث في العناصر الأساسية لوضعيات تمكننا من أن ننعت ما يحدث فيها حربا اكثر من محاولة تقديم الكلمة والقول بأن لها هذا المعنى أو ذاك . (محمد صفي الدين، 2013، ص3)

ولتعريف الحرب اقترح أن نبدأ من المعاجم لعلها تسعفنا في إدراك خيط رأس التعريف ففي معجم الوسيط وفي معجم المعاني ومعجم اللغة العربية المعاصرة تم الاتفاق على ان لفظة حرب تعني" قتالا ونزالا بين طرفين اثنين وعكسه هو السلم " الملاحظة الاولى التي يمكننا تسجيلها حول هذا التعريف أن اللفظة لا تعني مواجهة فردية بل يفترض فئتين وهذا ما يدعونا للسؤال ما إذا كان صراعا فاقت أطرافه الفئتين هل يعتبر حربا ؟ كما انهم قدموا السلم كنقيض للحرب للدلالة على ان الوضعية المخالفة لوضعية الحرب هي وضعية السلم ، لكن هذا التعريف رغم ذلك ظل عاما جدا فهو لا يحدد الخلفيات الممكنة وشكل النزال وطبيعة الوسائل وما إذا كانت هنالك وسائل ام لا وبالتالي هو لا يتقدم بنا كثيرا في طريق التعريف اما تعريف لاغوس فيعرف الحرب بانها مواجهة مسلحة بين الدول ثم يضيف بين قوسين تهدف إلى تطبيق القوانين وتبدا بإعلان الحرب وتنتهي بهدنة او اتفاق سلام يضع حدا لهذه الحرب ، Bertrand badie,1998,p20-21))

من هذا المنظور يتضح بأن الحرب فعل دولة اي انها خاصية ترتبط بالدولة وأن غاياتها هي الدفع نحو تطبيق القوانين وهذا يعطيها غطاء أخلاقيا يشرعنها دون الخوض في طبيعة هذا القانون والإرادات الكامنة خلفه ثم ننتقل إلى تعريف المركز الوطني للموارد النصية والمعجمية (CNRTL) حيث يعتبر الحرب بأنها حالة صراع بين طرفين او أكثر (دول ، أقاليم ، مجموعات ، أفراد) بأسلحة او بدونها ، هذا التعريف غني لكنه معقد التفسير قليلا والمهم أنه يشير إلى صراع وفي نفس الوقت إلى أطراف متعددة مشاركة في هذا الصراع وهو بهذا يختلف عن ما يمكن ان يحدث بين شخصين كما انه يشير إلى إمكانية استخدام الأسلحة وغياب هذه الإمكانية. ما الذي

يمكن استنتاجه من هذه التحديدات اللغوية هو ان الحرب حالة صراع بين فئتين او اكثر وحالة الصراع هذه تستدعي من أفراد كل فئة من هذه الفئات التعاون وتنسيق الجهود وتنظيم التحركات لتزيد فاعليتها من اجل التفوق في هذا الصراع وبهذا يمكننا القول بان الحرب ستصير مجهودا جماعيا منظما لفئة في مواجهة مجهود جماعي منظم لفئة أخرى وهذه مفارقة ، فالحرب تحمل معنى الصراع والمواجهة والعنف وفي نفس الوقت هي مجال للتعاون ن والتنسيق والتنظيم . (أكرم ديري، 1984، ص59).

3/ الذرائع الديمقراطية للحرب

ألقى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون سنة 1994 خطابه الشهير حول حالة الاتحاد الأمريكي والذي أستهله بالقول " ان أفضل استراتيجية لضمان أمننا وبناء سلام دائم انما تكمن في دعم تقدم الديمقراطية في جميع المناطق الأخرى ذلك ان الديمقراطيات لا تشن هجوميات ضد بعضها البعض بل انها تؤمن أفضل الشركاء التجاريين وايضا أفضل الدبلوماسيين " من الواضح ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية على الأقل ان الديمقراطية الغربية في امتدادها الدولي الخارجي لم تكن أبدا مفهوما حقوقيا بالمعنى الحقوقي الإنساني بل كانت مفهوما سياسيا استعماريا يتولى ادارة مناطق النفوذ والهيمنة الغربية على شعوب العالم الأخرى

من اجل نهب ثرواتها ومنعها من التقدم والتطور الا بالقدر المسموح به والذي يبقيها تحت سيطرتها الدائمة وهذا ما فضحته الثقافة الاشتراكية البلشفية في حينه وانطلاقا من هذا القول وعلى حسب المعجم الأمريكي الأنظمة التي لا توالي أمريكا فهي أنظمة غير ديمقراطية لذلك وجب سحقها دفاعا عن الحريات والديمقراطية ولكن من قال بأن الديمقراطية نظام يمكن فرضه بالقوة ومن قال بأنها نموذج بالإمكان تعميمه في كل الدول ام انها كانت مجرد كلمات براقة استخدمها الغرب حتى يقلبوا موازين القوة لصالحهم من خلال التستر وراء غطاء الديمقراطية فلم يجلبوا معهم سوى الفوضى والخراب وانقلابات دموية عزفت على أوتارها التيارات المتطرفة أنغاما توسعية وركبت موجات الاحتجاجات تنفيذا لأجندات الهيمنة الأمريكية بالتشارك مع شركاء واشنطن وكنتيجة حتمية لهذا الوضع برزت تنظيمات متطرفة وحروب لا نهاية اسقطوا الأنظمة وفتحوا صناديق الاقتراع أمام الشعوب فالديمقراطية الخدعة التي صدقتها الشعوب وفي الحقيقة ماهي الا غطاء لتوسع الإمبراطورية الأمريكية ببساطة الهدف لا يكمن في تحقيق ارادة الشعوب بل الهدف هو تحقيق مصالح الغرب ، فمنذ انتهاء الحرب الباردة قام الغرب بتصدير النموذج الديمقراطي من اجل إحكام قبضتهم على الأنظمة الضعيفة من جهة ولابتزاز الأنظمة القوية من جهة اخرى متسترين وراء مفاهيم مرتبطة بحقوق الانسان على الرغم من انهم يعيشون اليوم ازمة حقيقية الا وهي ازمة انكشاف الديمقراطية بمعاييرها الأساسية (حقوق الانسان ، العدالة ، المساواة والحرية) ينادون بالقيم الليبرالية الديمقراطية وحقوق الانسان وأيديهم ملطخة بالدماء وخير دليل على ذلك ما حدث في الفيتنام والابادة الجماعية في كمبوديا ، هيروشيما وناغازاكي ، الحرب الكورية ، أفغانستان ، العراق ، ليبيا..... والقائمة تطول حروب معظمها خاسرة أريقت فيها دماء الملايين باسم الديمقراطية وصرفت المليارات دفاعا عن الديمقراطية فقد صرفت اكثر من 33 مليار دولار للدفاع عن الحرية في او كرانيا لو ارسلت هذه الاموال قبل الحرب لدعم اقتصاد او كرانيا ما كانت لتحتاج دخول الاتحاد الأوروبي ولا الناتو ولا استفزاز روسيا ، ولكن ما من رادع يكبح شهية الحروب شهية متجذرة منذ اليوم الذي تأسست فيه الإمبراطورية الأمريكية الحرية التي يزعمون حمايتها غير قادرة على حمايتهم وحماية مواطنيهم والدليل في ذلك ارتفاع معدلات العنف والجريمة في امريكا فإذا كانت هذه الحرية فماذا عن الحقوق وبلادهم قنبلة موقوتة من العنصرية والتطرف فسجون غوانتنامو لا تزال مفتوحة آلاف المساجين جردوا من حقوقهم الاساسية والقانونية لو افترضنا ان هذه السجون حتى لو كانت تأوي إرهابيين وجدت في دولة غير ديمقراطية لكانت السماء ستمطر شعاراتهم الرنانة حول حقوق الانسان ، لا نعرف عن اي ديمقراطية يتحدثون ولكن ما نعرفه ان ما صدر إلى العالم لم تكن الديمقراطية لان فاقد الشيء لا يعطيه ما صدر للعالم كان السلاح ، الحروب ، والقواعد العسكرية . لقد كتب المفكر الأمريكي فوكوياما في بداية التسعينات كتابه الشهير" نهاية التاريخ " وبشر بانتصار الرأسمالية كنظام اقتصادي والديمقراطية الليبرالية كنظام سياسي ودعي لنشرها حتى تصل دول العالم الثالث نجحت الرأسمالية

وسقطت الديمقراطية فقد اصبح الأثرياء اكثر ثراء والفقراء اكثر فقرا ولكي تتضح الفكرة اكثر نأخذ على سبيل المثال لبنان ما الذي قدمته الديمقراطية لهذا البلد فقد تحول من سويسرا الشرق إلى فنزويلا الشرق حروب اهلية ، فساد ، محاصصة ، طائفية كرسها نظام كان من المفترض ان يحمي التعددية التي ميزت لبنان فبات يحمي زعماء الطوائف وحاشيتهم وفسادهم ، وغير بعيد عن النموذج اللبناني نجد العراق ما لذي قدمته امريكا له ماعدا الخراب والحروب الأهلية فلا يزال يعيش عقم سياسي يحميه سيف الفساد وهدر لفرص اعادة هذا البلد كقوة اقليمية نافذة. فحتى الدول الثرية والمتقدمة تواجه معضلة اختلال النظام الديمقراطي فصعود اليمين المتطرف وتفشي ظاهرة النازية الجديدة يعكس تعثر هذا النظام في تلبية تطلعات الشعوب وتراجع الديمقراطية الليبرالية حول العالم لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد القوة المهيمنة الوحيدة فقد دخل من ينافسها في ميزان القوة صعد نمور وصقور آسيا الاقتصادية كما ظهرت الصين التي تعد بمثابة التحدي الابرز للقوى الديمقراطية في العالم ضف إلى ذلك روسيا وغيرها من الدول التي طبقت معايير الديمقراطية اكثر من اي دولة في العالم اقتصاد حر ، أمن وأمان ، وهدف واحد ضمان مستقبل الشعوب ، فالديمقراطية لا يمكن أن تعيش مع بطون جائعة والديمقراطية لا يمكن أن تعيش من دون الإنسانية الليبرالية.

4/ علاقة الحرب بالديمقراطية

éالحقب الاستعمارية الماضية والحربين العالميتين الأولى والثانية ألحقت دمارا وخرابا وأسقطت حضارات ودول ومع نهاية الحرب الباردة سعت الدول الرأسمالية و لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية إلى البحث عن نوع جديد من الحروب التي تضمن لها الهيمنة والسيطرة على باقي دول العالم وفق منهج الغاية تبرر الوسيلة، ومن خلال هذا المنهج أباحت لنفسها استخدام أية وسيلة من شأنها تحقيق أكبر قدر من المكاسب والمصالح بأقل التكاليف والخسائر من خلال نشر مصطلح الديمقراطية، و الاستثمار فيه سياسيا وعسكريا بخطابات روّج لها العديد من الرؤساء الأمريكيين على مدار سنوات عدة، فحلت الديمقراطية محل الحرب العسكرية التقليدية فأصبحت بمثابة سلاح لتفكيك الدول واسقاط الحكومات وافتعال الأزمات، هكذا فقدت الديمقراطية منظومتها القيمية، وتلاشى بريقها وسجل التاريخ على مدار عقود كيف رفعت بلاد العم سام شعارات الحرية والديمقراطية، ولطالما دعت دول الشرق الأوسط لاحترام شعاراتها والعمل بها، لكنها كشفت تناقضا صارخا بين أقوالها وأفعالها وسرعان ما تحولت إلى حرب ناعمة، فالجذور الفلسفية لهذه النظرية تعود إلى الفيلسوف الصيني "صان تزو" الذي يعتبر أول من صاغ أساليب هذه الحرب والذي نظر لها في فلسفته، فيعرفها بأنها القدرة على تخريب أرض العدو وحضارته وانجازاته دون اطلاق رصاصة واحدة ودون أن يراك كخصم له، ويرى "صان تزو " استراتيجية الحرب العسكرية سبيلا فاشلا وغير مجدٍ، وان أنجع فنون القتال هو عدم الانجرار للقتال والحرب.

فالحرب والديمقراطية لهما علاقة متباينة، فعلى الرغم من كون الديمقراطية كنظرية سياسية لها جذور فلسفية، تسعى دائما لتجنب الحرب إلا أنها في الكثير من الأحيان تساهم في خلق صراعات سياسية

وتؤجج بؤر اللا استقرار في العالم من خلال التلاعب بالرأي العام العالمي، ستأتي الحرب كوسيلة من وسائلها لتحقيق أجنداتها السياسية والايديولوجية، بحيث يقع تنزيل للمبادئ والقيم الديمقراطية لصالح الممارسات السياسية اللا أخلاقية، الأمر الذي جعل من الديمقراطية، بمثابة ذريعة من الذرائع الرأسمالية تستخدمها لتبرير سياساتها اللا إنسانية، فالديمقراطية بهذا المعنى نوع من التزوير الفاضح لمعنى الديمقراطية الحقّ، فهي أصبحت اليوم استراتيجية ناكرة استثمرت فيها الامبريالية الأمريكية لشن الحروب العدوانية ساعية وراء توطين الهيمنة والسيطرة.(علي زياد العلي، 2015، ص 20)

ويظهر هذا جليّا من حلال ما يسمى بالحلف الاطلسي، فعمدت إلى تصريف وتصدير إنتاجها العسكري عبر هذا الحلف، مما خلق تغييرا جذريا وجوهريا في ميزان القوى الاقتصادي لخدمة مصالحها فبرزت بوضوح الهيمنة السياسية للولايات المتحدة فحاولت أحيانا تصدير نموذجها، مرات سعت فيها إلى فرض قيّمها في مناطق مختلفة، نتيجة لهذا الحضور القوي أصبحت هناك فكرة شائعة لدى الكثيرين أن أمريكا هي نموذج العالم الغربي، لكن الحقيقة قد تكون مختلفة تماما فإن إلقاء نظرة على التاريخ لا سيما أحداث الأعوام القليلة الماضية تظهر لنا بأن امريكا التي تعرف نفسها بأنها حاملة لواء الديمقراطية وحاميتها قامت بشن العديد من الحروب وكانت مسؤولة عن العديد من التدخلات العسكرية محاولة تبرير الحرب بالاستناد إلى مصطلح الديمقراطية وحقوق الانسان والحفاظ على السلام، فكيف الدفاع والحفاظ على السلم والامن بالحرب؟

بعد انتهاء الحرب الباردة اطلق المؤرخ الأمريكي فرنسيس فوكو ياما مصطلح نهاية التاريخ (فرانسيس فوكوياما، 1993، ص 190) الذي يشير من خلاله انه مع هزيمة الشيوعية لم يعد امام الديمقراطية الليبرالية الغربية أية عائق ، وفكرة نهاية التاريخ فكرة طرحها و نظر لها الكثير والعديد من الفلاسفة تاريخيا ، يتحدث الفلاسفة هنا عن نهاية التاريخ فليس المقصود مثلا نهاية تاريخ العالم الطبيعي ولا حتى نهاية العالم المادي كأحداث ووقائع ولا حتى نهاية تاريخ الحياة والكائنات والتاريخ المعاش وانما المقصود هو نهاية تاريخ الفلسفات والايديولوجيات والنظم الفكرية و السياسية الكبرى هذا هو معنى نهاية التاريخ و بهذا المعنى ينتهي التاريخ بالطبع هنا عندما يصل الى غاية نهائية وغايه التاريخ النهائية كما حددها اغلب الفلاسفة كل بحسب حجته ونظريته تمثل في وصول التاريخ الى افضل وارقى نظام ممكن انتجه واوجده العقل الانساني عبر تاريخه وفي مراحل تطوره التاريخية فنجد فلاسفة كثر تحدثوا عن نهاية التاريخ مثال ذلك هيجل ، ماركس ، أوجست كونت ، فعلى سبيل المثال نجد الفيلسوف الفرنسي اوجست كونت قال بوجود مراحل تاريخية وقال بان المرحلة العلمية هي اخر مراحل التاريخ وانها ستشهد سيطرة الفكر العلمي في مقابل نماذج فكرية قديمة ظهرت تاريخيا ، كما نجد الفيلسوف الالماني هيجل الذي يعتبر من أبرز من تحدثوا عن نهاية التاريخ فالتاريخ الذي هو عنده هيجل ما هو الا مسيرة للوعي بالحرية الوعي الذي يتجسد في نهاية التاريخ في الدولة البروسية القومية، الفيلسوف الالماني ماركس هو الآخر تحدث

عن نهاية التاريخ عند ماركس يبدأ عندما تدخل البشرية الحالة الاخيرة من مراحل التاريخ وهي المرحلة الشيوعية لان التاريخ عند ماركس ما هو الا تاريخ الصراع الطبقي والمرحلة الشيوعية ستنهي هذا الصراع عندما تنهي الطبقية داخل المجتمع فيتحول المجتمع الى مجتمع لا طبقي، أما في العصر الحديث وتحديدا في اواخر القرن العشرين بشر الفيلسوف و الكاتب الأمريكي من أصول يابانية فوكو ياما الذي ولد سنة 1952 في شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية وتقلد مناصب عديدة فكرية و سياسية وله العديد من المؤلفات المهمة في مجال الفكر السياسي تأثر بشكل كبير و واضح على المستوى الفكري بهيجل و فلسفة التاريخ عند هيجل ، ففي عام 1992 قام بنشر أهم كتاب الذي كان بعنوان " التاريخ والانسان الاخير " وأثار هذا الكتاب بعد نشره عاصفة من الردود بعضها مؤيد لكن اغلب هذه الردود كانت معارضة وكانت منتقدة لأفكار الكتاب كما أن الجدال ما بزال مستمر و قائم لغاية اليوم ، وباختصار شديد تتمحور الفكرة الأساسية للكتاب و تدور حول ان التاريخ بالمعنى الذي ذكرناه سابقا وصل الى نهايته حسب فوكو ياما ومعناه وصل الى الغاية النهائية وغاية التاريخ كما يحددها فوكوياما تتمثل في تحقيق المساواة والحرية للإنسان اللتين كما يرى لم تتحقق تاريخيا في أية مرحلة تاريخية إلا في ظل النظام الديمقراطي الليبرالي السائد اليوم في الولايات المتحدة الامريكية ودول اوروبا الغربية بصفه عامة، فهذا النظام حسب فوكوياما يمثل أرقى وأفضل نموذج توصل له العقل الإنساني طوال تاريخه، هذا النموذج كما يرى فوكوياما يجسد مقوله هيجل خير تجسيد من حيث أنه يمثل أعلى مراحل الوعي الذاتي بالحرية، فخلال كل الصراعات والتجارب التاريخية الكبرى الممتدة من عمق التاريخ الى اليوم حيث كان حلم البشرية الوصول إلى مرحلة تسود فيها قيم المساواة و الحرية هذه هي غاية تقدم التاريخ الانساني و هي بشكل او بآخر محطة إجماع اغلب المفكرين والفلاسفة، ويرى فوكوياما بأن كل التجارب والصراعات التاريخية كانت تدور حول هذه الغاية إلى أن أتى القرن العشرين وبعد انتصار الحلفاء على النازية والفاشية في الحرب العالمية الثانية ظهر إلى العلن صراع اخر بين الديمقراطية الليبرالية من جهة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ودول اوروبا الغربية وبين المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي سابقا ودول أوروبا الشرقية ومن ثم انتهت هذه الحرب كما عرفت بالحرب الباردة بانتصار المعسكر الغربي وبهذا الانتصار يرى فوكوياما بأن التاريخ قد وصل الى نهايته بانتصار العالم الديمقراطي الليبرالي لأنه النظام الوحيد الذي جسد آمال الانسانية ، فهذا التنظير الفلسفي والسياسي للديمقراطية الليبرالية لفوكوياما أعطى الحجة و الدافعية لهذا النظام السياسي ، ففي عام 1992 انتهز الرئيس الأمريكي بيل كلينتون نظرية فوكوياما السياسية ليروج للديمقراطية الليبرالية الغربية من خلال حملته الانتخابية " من أجل تحقيق السلام العالمي" وأن الدول التي تجمعها مبادئ مشتركة وعلاقات تجارية وضوابط تفرضها المجتمعات على الحكومات نادرا ما تتحارب يقول بيل كلينتون في خطابه " مصالحنا الاستراتيجية وقيمنا الاخلاقية تكمن في تحقيق هذا الهدف فإننا نجعل انفسنا وحلفائنا اكثر أمنا " هل فعلا نشرت الولايات المتحدة الأمريكية الديمقراطية ؟ في الواقع ما نشرته الولايات المتحدة الامريكية هو

جيشها في جميع أنحاء العالم فلديها في الوقت الراهن ما يقارب 800 قاعدة عسكرية في اكثر من 70 بلدا واقليما خارج اراضيها حسب ما نشرته في المقابل لدى بريطانيا وفرنسا وروسيا مجتمعة نحو 30 قاعدة عسكرية في العالم حسب ما نشرته مجلة واشنطن بوست في عام 2022 و العدد قابل للارتفاع و الزيادة، فعندما أطلقت امريكا ما أسمته الحرب على الإرهاب ارتفع إنفاقها العسكري الى اكثر من 800 مليار دولار سنويا ، ولكن ما الذي كانت تفعله أمريكا بكل هذه القوه العسكرية ؟ فخلال فتره رئاسة جورج بوش الأب شنت الولايات المتحدة حرب الخليج الأولى ضد الرئيس العراقي صدام حسين وتسببت الحرب والعقوبات اللاحقة في مقتل نحو مليون مدني وفقا لتقارير أممية ، أما في بنما فتدخلت الولايات المتحدة الامريكية للإطاحة بالرئيس مانويل نورييغا تحت ذريعة تحرير البلاد ما أدى إلى وفاه ما بين 200 و 500 مدني ، ثم وقعت أحداث 11 سبتمبر وأصبحت ذريعة الولايات المتحدة الأمريكية أقوى ألا و هي محاربة الإرهاب باسم الديمقراطية فشنت الولايات المتحدة الامريكية حربا على أفغانستان مازالت مفتوحة حتى الان ، وهاجمت العراق استنادا الى فرضية كاذبة مدعية امتلاكها أسلحة دمار شامل. ومن رحم هذه الفوضى التي خلفتها الحرب خرج تنظيم داعش و تنظيمات إرهابية أخرى ما أدى إلى نشر الفوضى والدمار وهذا ليس كل شيء ، فقد أسهم التدخل الأمريكي في ليبيا إلى تحويلها الى دولة فاشلة و ، كما تسببت في إحداث أشد الأزمات الإنسانية في التاريخ الحديث عقب ندخلها في الحرب على اليمن . فهذه الحروب التي شنتها تبررها الولايات المتحدة بمواجهة تهديدات " وشيكة "على أمنها القومي ولكن كيف ترى أمريكا مصطلح "التهديد الوشيك" .، حصلت شبكة NBC على مذكرة سرية من 16 صفحة تعود الى وزارة الدفاع تقول أن أي تهديد وشيك لا يتطلب من الولايات المتحدة أن يكون لديها دليل واضح على أن هجوما محددا على أشخاص أمريكيين أو مصالح امريكية سيحدث في المستقبل القريب. كما كشفت وثائق وكالة الاستخبارات الأمريكية "سي أي إيه " التي رفعت عنها السرية الاستخبارات المركزية دبرت ما لا يقل سبعة انقلابات وعلى الطرف الآخر كانت الحكومة الأمريكية توثق علاقاتها مع عدد من الرؤساء وملوك وأمراء رغم اتهامهم بارتكاب انتهاكات لحقوق الانسان ما يجعل أمريكا دولة ذات وجهين يقول براك اوباما " لكنني اؤمن ان أمريكا كانت قوة فريدة في تاريخ البشرية بقدر رغبتها في التفكير فيما هو أبعد من المصلحة الشخصية الضيقة فعلى الرغم من أننا ارتكبنا نصيبنا من الاخطاء خلال 25 عاما الماضية وإنني أعترف ببعضها ، فقد كافحنا و في أحيان كثيره قدمنا تضحية هائلة من أجل التوفيق بين أفعالنا ومثلنا ونتيجة لذلك أؤمن أننا كنا قوة من اجل الخير " فهل كانت امريكا كذلك بالفعل؟ الواقع يقول عكس ذلك فمسألة دعم أمريكا والغرب الرأسمالي للقوى الديمقراطية مجرد تظليل و مكر سياسي فأمريكا لا تهمها حقوق الانسان ولا حرية الشعوب فهي تسعى وراء مصالحها بالدرجة الأولى ، كما أن الديمقراطية الليبرالية أثبتت فشلها في العالم إذ استخدمتها الولايات المتحدة الامريكية كشماعة لاحتلال الدول و نهب ثرواتها فتحولت الديمقراطية إلى ديمقراطية مسلحة. (عزام التميمي، 2004، ص 18)

4/ أنماط خطاب الحرب

بالرجوع إلى المنظر الألماني الاستراتيجي في الحرب كلاو زفيتش نجده يركز على جملة من النقاط أهمها

أو لا: لكل حرب زمان بمعنى الحرب لها تاريخ فلا يمكن أن يشهد التاريخ حربا فجائية

ثانيا: الحرب ليست شيئا مجهولا بل بالعكس نعرفها حتى لولم تدخل الأمم او الدول في حرب فالحرب تعني الدمار والقتل والخسائر وكيفية السيطرة على العدو، الحرب تجند المجتمع لكي ينخرط في الحرب بمعنى ان الحرب تجعل المواطن جزءا منها ويقول كلاو زفيتش ان اهمية الحرب ان تجعل انظار العدو تنظر إلى جهة اخرى هذا ما يعني الاستراتيجية العامة الحرب كما انه يرى بان الحرب تعتبر وسيلة من وسائل السياسة فعندما تنعدم الحلول يصبح الحل الوحيد هو الحرب ولكن ان لم تنعدم الحلول فالسياسة والدبلوماسية هي أبعاد اخرى الحرب. (باتروس توماس، 1982، ص24وص25)

إذن هذه المرتكزات العامة التي يتحدث عنها كلاو زفيتش تسمح لنا بوضع تيبولوجيا للخطابات التي تتناول الحرب

أو ل خطاب في هذا الباب هو الخطاب التقني بمعنى آخر ان تطور التقنية اليوم جعلها تفرض نفسها بسبب ان ماهيتها اكتسحت الانسان والكون والعلاقات وبالتالي فالمنطق التقني يفرض ارادة ما هي في آخر المطاف الارادة التدميرية من الجانب السلبي منذ محاضرة مارتن هايدغر ما التقنية ؟ كما يمكن أن نشير في هذا الجانب إلى ميشال فوكو يتحدث عن المثقف اليوم وقد اعطى مثالا بانشتاين وهو يشرف على قنبلة نووية اذن منطق التقنية يستدعي هذا النوع من التطور في الوسائل والمعدات وفي العقل التقني وفي العقل التقني العسكري ولكن النوع الانسانية تحاو ل قدر المستطاع ان تحد من هذا التطور المدمر للإنسان ولذلك نجد المعاهدات وايديولوجيات الأنسنة تتدخل لإيقاف هذا النوع من العقل التقني. (سيار الجميل، 2004، ص95)

ثاني خطاب تسكنه الحرب ولا يفكر إلا بالحرب وهو الخطاب الاستراتيجي فحينما نتحدث عن الاستراتيجيات الاقتصادية والاستراتيجيات العسكرية والاستراتيجيات الجيوغرافية فهنا نجد أنفسنا أمام منظري الحروب أمثال كلاو زفيتش فهو يضعنا امام ماهية الحرب الآن اي ماهية الحرب اليوم والملاحظ اليوم ان التفكير الاستراتيجي العسكري لم يعد يفكر في عدد الجيوش ولم يعد يفكر في الجغرافيا ولا بالجيوش التي ستتصارع في منطقة معينة بل اصبح يتحدث عن تصورات اخرى للحرب حرب ميكروبات ، حرب التجسس من الفضاء ...بمعنى ان الاستراتيجيات العسكرية للحرب قد تغيرت كثيرا ففي الماضي مثلا ان يكون لك عدد كبير من الجيوش فهذا معناه انك قادر ان تعطي وعدا للجميع بانك ستنتصر اما الان اصبحت الحروب لها ماهيات اخرى.

الخطاب الثالث الذي تسكنه الحرب في ماهيته كخطاب وهو الخطاب الديني ولا يمكن تفسيره عامة الا بقراءة ماهية الخطاب الشيعي وماهية الخطاب السني المتطرف او ماهية الخطاب الذي يدعو إلى صراع الحضارات فمجمل هذه التراتبيات لخصها القديس أوغسطين في كتابه الضخم الذي ينقسم إلى ثلاث مجلدات كبرى لخصها في مدينة الله بحيث حينما تجد بعض المليشيات تسمي نفسها جيش الله ، جند الله .. فالقديس أوغسطين يقول بأن الحرب مقدرة على البشرية وان الحرب إلهية بالضرورة وان منطق الخير والشر يتصارعان في المدينة الواحدة ولا يمكن لأي مدينة ان تكون خالية من المؤمن والكافر وبالتالي فإن الحروب التي ستدور في تلك المدينة هي حروب مشروعة لان هذه الجماعات الصغرى التي تتصارع وتتحارب إن كانت تحارب من اجل الله فإن الله سينصرها ، فالحروب جميعا التي يعرفها هذا العالم الممتد من الخليج إلى المحيط مرورا بدول المغرب الكبير ف ليبيا فمصر واليمن ، سوريا ، العراق ، لبنان ....يريد الفقيه صاحب الفتوى ان يفسر الحرب من وجهة نظر شرعية وما إذا كانت واجبة وما إذا كانت حربا للمؤمنين والمجاهدين وما إذا كانت حربا فرض عين وخلاصة القول ان الفقيه السني او الشيعي يربط الحرب بالإيمان او الكفر.

رابع خطاب يتناول الحرب هو الخطاب العرقي يمكن أن نعطي نماذج عدة هنا ابرزها الخطاب الهتلري النازي وما رأيناه في اروبا الشرقية وافريقيا من خطابات

تقوم على العرقية والتطهير العرقي ، وقد مس هذا الجانب الوضع العراقي لكنه على اساس طائفي هذه المرة.

خامس خطاب تسكنه الحرب هو الخطاب الاقتصادي النيو ليبيرالي الدارويني هذا الخطاب كذلك ينطلق من رؤية تشييئية وتسويقية وتبضيعية لكل شيء ، وان الحياة كحياة التي نعيشها اليوم ماهي الا حربا وان كل الاشياء يمكن أن تكون موضوعا للحرب بمعنى أن منطق الحرب يسكن جميع مناحي الحياة اليومية التي يعيشها الانسان ، وان جسد الانسان وأهواءه ورغباته هي ايضا مجال للحرب وهي مجال للاقتصاد والتسويق وهكذا فإن هذا التصور الاقتصادي النيو ليبيرالي الدارويني لا يؤمن بالحرب المباشرة وحدها او بالحرب في اشكالها التقليدية وحدها وانما تصبح الحرب معممة ودائمة ولا مجال للانفلات منها لا بالسلام ولا بغير السلام لأن حتى السلام هو تقنية من تقنيات تأجيل الحرب المباشرة فقط.

سادس خطاب تسكنه الحرب هو الخطاب الماركسي الذي يقوم على التاريخ ، فالتاريخ هو صراع وهذا الصراع يتطور عبر مراحل في التاريخ وصولا إلى مرحلة الشيوعية حيث تنتفى الحرب ويصبح السلم هو الحالة الدائمة والابدية ، هذا المنطق الغاءل للتاريخ يطرح الكثير من المشاكل للخطاب الماركسي.

اذن هذه بعض المداخل التي تمكننا من فهم وتفسير حالة الحرب من خلال التفكير فيها وليس مجرد اعطاء وصف لها . (سيار الجميل،2004، ص55)

5/ دو افع الحرب ووسائلها

تنوعت دوافع الحرب واسبابها فلم تكن واحدة على مر التاريخ وبالتالي تعددت النظريات والآراء التي تناو لت تحليل وتفسير الواقع من خلال الازدواجية في الدوافع فمنها ما هو ظاهري يسعى إلى اظهار الجانب المشروع منها ومنها ما هو باطني قائم على المصلحة يبقى في اطار المسكوت عنه فلا يوجد سبب وحيد للحرب ومن ثم لا نظرية وحيدة لتفسيرها ، فهناك من يرى ان الحرب شر مهما تعددت اسبابها ومبرراتها في حين ان اخرين يرون ان الحرب بين البشر امر طبيعي سواء كانت عادلة ام ظالمة فمن خلالها تتحقق طموحاتك البعض في التوسع والهيمنة ففي هذا العنصر سنقوم بحوصلة لاهم اسباب ودوافع الحرب

الدو افع الاقتصادية

يمكن أن يكون للجانب الاقتصادي دور في نشوب الحروب والصراعات بين الدول او القوى وهذا راجع لعدة اعتبارات مثل الصراع على الموارد الاقتصادية كالمواد الأولية او مصادر الطاقة فالزيادة المفاجأة في عدد السكان مع محدودية الموارد من الماء والغذاء والطاقة في منطقة معينة ويعني بعض الدول الاستعمارية للسيطرة على الموارد الاقتصادية للدول الضعيفة من اجل نهب خيراتها وتحويل سكانها إلى سوق استهلاكية لإنتاجها الصناعي والزراعي كما حصل إثر الثورة الصناعية ، فهذا الصراع غايته ايجاد وفتح اسواق للترويج لمنتجات النظم الاقتصادية القائمة على الاستهلاك وفي هذا يرى روجي غارودي أنه لم تكن الحرب بين أمريكا واليابان مواجهة بين حضارتين انما هما متنافسان ينميان في بلديهما النظام الصناعي نفسه ويتجابهان للسيطرة على المحيط الهادئ والاستيلاء على اسواقه ، وقد تكون الحرب سببها التناقضات الاقتصادية بين الدول المتبنية لنظم اقتصادية مختلفة مثل الصراع بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالية ، بالإضافة إلى ما سبق يمكن أن نضيف سبب اقتصادي آخر الا وهو غياب وانعدام العلاقات الاقتصادية بين الدول المتصارعة.

الدو افع الدينية

يعتبر الدين من بين اهم دوافع وأسباب الحرب والتاريخ يثبت ذلك ، والمقصود بالدين هنا هو النص المقدس من جهة والفكر الديني باعتباره رد فعل العقل الإنساني اتجاه هذا النص المقدس والمغرب عن الارادة الالاهية من جهة اخرى ، فالحروب التي خاضها اتباع الديانات السماوية مثلا كانت عبارة عن ممارسة ايمانية بحتة ، بمعنى ان غرضها هو ارضاء الآلهة فإذا عدنا إلى الارهاصات الأولى للفكر السياسي لوجدناه يمتزج بالفكر الاسطوري ، فأسطورة ولادة الفكر السياسي كما رواها افلاطون في محاورة بروتاغوراس تصف الحرب كجانب من جوانب فن الحكومة الذي اختصت به الالهة فقط دون البشر ،

واما السلام فهو نتيجة انتشار العدالة التي منحتها الالهة للجميع وهذه العدالة تكون بتتبع المبادئ النظامية وعليه فالحرب أسمى من السلام لأنها فن الالهة والسلام خاصة بالبشر ، اما اذا عدنا لبعض الديانات السماوية ذات الرؤية المتوازنة في الحياة والتي وضعت حدود وضوابط امام هذا النمط من العنف مثل الاسلام وتلك التي دعت إلى السلم واللين والحب في نصوصها مثل المسيحية لم تتجنب خوض الحروب باسم الدين ومن اجل الدين حيث تشعر الأمة المحاربة انها الافضل وانها تجسد المثل العليا على الارض وانها الوحيدة التي تمتلك الحقيقة المطلقة وان عليهم نشر دينهم باعتبارهم منقذين لا معتدين وكثيرا ما يحمل مصطلح الحرب الدينية المقدسة كغزو الفرنجة للعالم الاسلامي التي سميت بالحروب الصليبية فاتباع المسيحية خاضوا العديد من الحروب بشعارات دينية واخرى اعلنوا فيها ان قيم المسيحية احد أبرز مكوناتها ومصدر فكرها فقد قاموا بتغليف الحروب بقيم دينية.

الدو افع السياسية

السياسة كفعل وممارسة لها دور بارز في موضوع بحثنا هذا ، والدليل على هذا راي الكثير من الباحثين القائلين بان الحرب هي امتداد للسياسة مع الاختلاف في الاساليب ، فهي استمرار عنيف للسياسة وهذه الحروب ذات المصدر السياسي قائمة على الاختلاف في الخيارات السياسية اتجاه المشاكل الاقليمية والدولية ، هذا ما يقودنا إلى الحديث عن الصراع والتسامح بين الدول والتكتلات ودور الهيئات والقوانين والمواثيق الدولية في حل هذه النزاعات والوسائل التي يمكن الاعتماد عليها في ذلك

الدو افع النفسية

العديد من الفلاسفة والمؤرخين جعلوا اسباب الحرب كامنة في أنفسنا ، بمعنى ان الحروب مصدرها الاحقاد والمصالح الشخصية والأطماع والأهواء التي تعني العقل ، وعليه فالحروب يمكن ردها حسب هذا الراي إلى الانفعالات الانسانية وعدم التحكم فيها اي الابتعاد عن الحقيقة الموضوعية الدقيقة والكاملة والتقليل من قيمة الآراء المتخصصة وبصفة عامة نقول أنه من بين أسباب الحرب القصور الكامن في رجال السياسة والقادة العسكريين (للتوسيع موقف سيغموند فرويد)

إضافة إلى وجود دوافع اخرى لنشوب الحروب منها فشل الحلول السلمية في حل النزاعات او الهروب من الازمات الداخلية وتصديرها للخارج او بسبب ازدياد الروح العدوانية نتيجة لشعور معينة امتلاكها قوة عسكرية تمكنها من السيطرة والنصر او بسبب تنامي الروح العنصرية خاصة عندما تعقد جماعة ما انها الحنش الافضل على سطح الارض او تنفيذ مشاريع استعمارية للسيطرة على الارض والسكان كالاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين.

اما فيما يخص وسائل الحرب ترى ان اهم ما تعتمد عليه ما يلي ،

الانسان احد اهم الوسائل الرئيسية في الحرب هي الانسان ، حرب الانسان ضد اخيه الانسان طبعا فكل الدول تهيء افضل ابناءها من كل الجوانب وتمنحهم افضل الامتيازات من اجل الزج بهم في الحروب المحتملة , وليس المقصود هنا العسكريين فقط بل حتى العلماء ورجال الدين والاعلاميين والسياسيين وكل ما يمكنه ان يحدث فرقة في نتائج الحرب ، لهذا المبدأ مشترك بين كل الأطراف المتصارعة وعليه فالإنسان منه البداية واليه النهاية باعتباره الوسيلة والهدف في آن واحد لان الغاية النهائية لكل حرب هي تدمير الاخر الذي سيكون انسان بدون شك ،

العلم كنسق من المعارف المنظمة يمكن تصنيفه ضمن اهم وسائل الحرب ، وسواء كان هذا العلم علما انسانيا او طبيعيا فان نتائجه تستغل في مجال الحرب وحتى وإن كانت غايتها الاساسية غاية يبني ولكن الحقائق التاريخية تثبت ان اغلب الانتصارات الحربية تكون مقترنة بالوسائل والتقنيات المستحدثة في مجال الحرب والنية على أسس علمية مثل اختراع البارود والمتفجرات واستخدام الآلات الميكانيكية من دبابات وطائرات والاستعانة بوسائل الاتصال والاقمار الصناعية وغيرها من المعارف والمنتجات العلمية التي تكون موجهة او لا إلى المجال الحربي قبل أن تعمم في مجالات الحياة المدنية ، كما يمكن الحديث في هذا المقام عن نمط آخر من العلوم والتي تعتبر علوم مساعدة مثل الانثروبولوجيا وبعض فروع علم النفس وعلم الاجتماع والرصد الجوي وغيرها .. فالعلم يشكل حليف جيد للحرب وهو لا يختار طرف دون آخر بل يسلم نفسه لأي طبقة او طرف كما يقول بين.

الدعاية والاعلام نقصد هنا وسائل الاعلام والاتصال وطرق توظيفها لخدمة الحرب كالدعوة لقضية معينة والاعلاء من شأنها والتهوين بقضية الخصم والحط منها او الدعوة للتجنيد وحشد القوى او تخويف الاعداء وارهابهم ،فالغاية من اقحام وسائل الاعلام والدعاية في الحرب هي الاقناع وذلك من خلال اكتساب مظهر الصدق لكسب ثقة المتلقي المراد اقناعه ويكون ذلك بطرق عديدة بعضها يخاطب العقل والبعض الآخر يخاطب العاطفة.

الأيديولوجية يمكن توظيف الجانب الأيديولوجي والذي يمثل عنصر من عناصر الثقافة في تبرير الحرب ف كارل مانهايم مثلا يعتبر الأيديولوجية المفهوم المحوري في علم السياسة لكونهما تنثل المنظومات الفكرية الفعالة في ميدان السياسة والمسيطرة على عقول منتجي الثقافة ، فهي بهذا المعنى مرتبطة بمصالح متعة معينة وترى ذاتها كحقيقة مطلقة وتعتبر منافساتها متناقضة وخاطئة ، ولتغيير آخر فالأيديولوجية هي التفكير الذي يهدف إلى استمرار الحاضر ونفي بذور التغير الموجودة فيه وهذا ما يجعلها وسيلة من وسائل الحرب والصراع إلى جانب كونها احد اسبابها.

الدين هو كذلك معطى استغل كثيرا في السياسة عموما وفي الحروب على وجه الخصوص ، فالحرب غالبا ما تكون خلفيتها دينية وذلك اما كشعار عام وبالتالي فالحرب هنا تكون من اجل الدفاع عن قيم ومبادئ دين معين ، او كقناعة شخصية على مستوى الأفراد يبرزون من خلالها نبل وصدق القضية التي يحاربون من اجلها ، وهذه الخلفية الدينية تستمد من الكتب المقدسة كنصوص صريحة او عن طريق تاو يل بعض هذه النصوص لكي تتطابق مع قيم القضية المتنازع عليها .

الخاتمة

تعد اشكالية الحرب من بين احد. الموضوعات التي تحظى باهتمام خاص في دراسة العلاقات السياسية ويعود سبب ذلك إلى عدة عوامل ومن أهم هذه العوامل هو ان الحرب تعد مظهرا عدوانيا متطرفا من مظاهر استخدام القوة وبالتالي فإن فهمنا وادراكنا لجذور الظاهرة تاريخيا ودوافعها يزيد من مقدرتنا على استيعاب مختلف المؤثرات التي تحيط بموضوع القوة والصراع ، فالحرب لا تخرج في حقيقتها عن كونها احد مظاهر التسلط السياسي والاقتصادي والثقافي والحضاري الذي تمارسه دولة على غيرها وغالبا ما يكون الهدف من هذا الصراع هو الاستغلال الاقتصادي للدول الخاضعة للسيطرة وتسخير امكاناتها الطبيعية ومواردها البشرية لرفع مستوى الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية للدولة صاحبة النفوذ الاستعماري فتحقيق الاهداف الامبريالية لا يمكن أن يكون بدون قوة وهذا يعني أن الاستعمار والقوة يمثلان بعدين متلازمين في عملية واحدة، فالقوة هي اساس الاستعمار والاستعمار هو الاداة للحصول على المزيد من امكانات القوة وبالتالي ليس كل صراع بين القوى هو من اجل الاستعمار ولكن كل استعمار هو صراع من اجل القوة ففي النهاية كلاهما يؤثر على الاخر ويتأثر به ان لم يكونا في الحقيقة جانبين للشيء نفسه وبالتالي فإن دوافع الحرب تتمحور بالأساس في الجوانب الاقتصادي فالقوى الامبريالية انتهجت أبشع سياسات الاستنزاف والاستغلال الاقتصادي إلى الحد الذي عرقل بشدة النمو الاقتصادي والاجتماعي للدول الخاضعة لها وكنتيجة حتمية لهذه الحالة ادت إلى انتاج او ضاع من التخلف لازالت هذه الدول تعاني منها الشيء الكثير ، فقد ساهمت القوى الامبريالية في كبح واجهاض كل محاولة للإصلاح السياسي للدول القابعة تحت سيطرتها مثل بعض الدول العربية فقد جعلتها مناطق قاحلة ديموقراطيا من خلال سعيها الدائم لإبطال أسس الديموقراطية والذي انجر من وراءه حروب اهليه وطائفية لا نهاية لها ووضع اقتصادي هش يفتقد لكل مقومات التنمية والازدهار وازمات ومشاكل اجتماعية لا حصر لها ، كما ان العقلية العربية لازالت تعاني في مقوماتها فأسس الديموقراطية كالمساواة والحرية مفقودة داخل هاته الدول التي تتسم بنوع من الهشاشة والضعف فهي بعيدة كل البعد عن استيراد النموذج الديموقراطي ،فهذا الاخير يقوم اساسا على الثقافة السياسية لمواطنيه وليس عن طريق الفرض من

الخارج فغالبا هذا الفرض سيؤدي إلى اضطرابات سياسية واجتماعية وامنية ستضعفه إضافة إلى خلق مشكلات وازمات حادة ابرزها الصراعات القومية ، القبلية ، الطائفية وخير دليل على كلامنا هذا ما حدث في العراق فالتدخل الاجنبي ارتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة السياسية الداخلية ومشكلات الموقع الجغرافي العربي وطبيعة النظام السائد وعليه تواجه الديموقراطية في العالم العربي الكثير من التحديات ويرتبط معظمها بعدم وجود ثقافة ووعي سياسي حقيقي لدى جموع المواطنين وعدم وجود رغبة لدى النخب الحاكمة للسير نحو دمقرطة النظام وفق الاسس السليمة التي تبلورت عليها الديموقراطية ،

لكن في الآونة الاخيرة، اصبحت الديموقراطية لعبة الحروب هذه الحقيقة المرة والصورة الواقعية لأمريكا والغرب السيطرة على الدول باسم الحرية والديموقراطية ، فهم لا يرغبون في تقدم الشعوب معيارهم ان تتبع الدول ما يملونه عليهم وان رفضوا حولوهم إلى دول ترعى الارهاب ويتهمونهم بأنهم ضد الاقليات هذه هي ديموقراطيتهم والدليل على ذلك العراق ، أفغانستان وليبيا.

ففي موسم ذبول الديموقراطية الليبرالية حان الوقت للبحث عن بدائل وليست البدائل في الانظمة الشيوعية او الفاشية او الدكتاتورية دعونا نبحث عن بدائل تشبهنا تشبه الأمة العربية بحضارتها وثقافتها وتاريخها ومستقبلها.

- المراجع

1) فيليب غرين (2007).الديموقراطية، ترجمة: محمد درويش، د.ط، بغداد، دار المأمون.
2) كاملز هنري (2011)، الموسوعة الاشتراكية، ط1،القاهرة، دار الهلال.
3) جونز (2000)، الديموقراطية الأثينية، ترجمة: عبد المحسن الخشاب، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب.
4) صامويل هنغتنغتون،(1995)، صدام الحضارات، ترجمة: طلعت الشايب،.
5) محمد صفي الدين خربوش،(2013)، مقدمة في النظم السياسية، د.ط، معهد البحوث والدراسات العربية.
6) طه حميد العنبكي، (2000)، النظم السياسية والدستورية المعاصرة، بغداد، مركز حمورابي
7) أكرم ديري،(1984)، آراء في الحرب، بيروت.
8) علي زياد العلي ، القوة الامريكية في النظام الدولي، تداعياتها وآفاقها المستقبلية، الكتاب العربي للمعارف،مصر ، ط 1 ، 2015.
9) فرانسيس فكوياما، نهاية التاريخ، ترجمة مركز الإنماء العربي، بيروت، 1993
10) عزام التميمي، من ذا الذي يريد الدمقراطية ، جريدة القدس العربي، العدد، 4688، 20-19 يونيو 2004.
11) باتروس توماس، (1982)، الحضارة الغربية، ترجمة: شوقي جلال،القاهرة، منشورات المجلس الأعلى للثقافة